بن بديرة الطّبْلي، شكيب1338هـ ش
قراءة جديدة في سفر التكوين الكلامي/تأليف: شكيب بن بديرة الطّبْلي
نشر المؤلف1388هـ ش/1431هـ ق
ISBN: 978-964-04-3795-7
عربي.
كتابنامه به صورت زير نويس.

عنوان الكتاب:	قراءة جديدة في سفر التكوين الكلامي
الجزء الأوّل:	طوق النجاة
الموضوع:	تاريخ وعلم الكلام
تأليف:	شكيب بن بديرة الطّبْلي
تنضيد وإخراج:	السيدة أم علي إسماعيل محي الدين
الناشر:	المؤلف
عدد الصفحات:	314
القطع:	وقعي
تعداد السحب:	100
الغلاف:	صحافي برديس
المطبعة:	شفق- قم
الطبعة:	الأولى 1388 هـ.ش
توزيع:	منتدى إحياء الاجتهاد Email : ijtihad21@ yahoo.com
الموقع الالكتروني:	www.mujadded.org

جميع حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة للمؤلف والمصحح

دراسات كلامية
-٣-

قراءة جديدة
في سفْر التّكوين الكلاميّ

شكيب بن بديرة الطّبُلي

أبواب الكتاب وفصوله

١/الباب الأوّل: إشارات تمهيدية حول الهويّة السياسية للاختلافات العقائدية وتعدد اتجاهات تحليل نشأتها ١٧

١/١/ الفصل الأوّل: قراءة العقائد في صحائف الصراع السياسي ١٩

١/٢/ الفصل الثاني: حول زمنية البحث الكلامي وتعدّد القراءات الإناسيّة ٢٥

٢/ الباب الثاني: المشروع الإسلاميّ التغييري وخصائص بيئة التنزيل ٣٥

٢/١/ الفصل الأوّل: تأمّلات في بعض اتجاهات تقويم ثقافة مجتمع التنزيل ٣٧

٢/٢/الفصل الثاني: مضامين المشروع الرسالي على محكّ مجتمع التنزيل ٧٥

٣/ الباب الثالث: المشروع الثقافي الرسالي من مواجهة المعارضة إلى مقاومة المصادرة ١٣١

٣/١/ الفصل الأوّل: الأسس المنطقيّة والأبعاد التكاملية للثورة الثقافيّة الرسالية ١٣٣

٣/٢/ الفصل الثاني: المشروع الإسلامي الرسالي وتحدّيات مقام الشهادة ١٦٩

٤/ الباب الرابع: إشارات ختامية حول التنازع بين الاقتضاءين الشمولي السلطوي والرّسالي وأثره في التأسيس الكلامي ٢٤٧

٤/١/ الفصل الأوّل: حول مظاهر الانكفاء النوعي للثورة الثقافية الرسالية ٢٤٩

٤/٢/ الفصل الثاني: حول المظاهر التفسيخية وتسرّب الانتهازية ٢٦٣

٤/٣/ الفصل الثالث: الاختيارات الثقافية الكبرى بين اقتضاءات الشمولية السلطوية ومتطلّبات المقاومة الرسالية ٢٨١

محتويات الكتاب ٣٠٧

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله ربّ العالمين، إليه فوّضت أمري، وعليه توكّلت، وبه أستعين؛ سبحانه هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين. والصلاة والسلام على أشرف خلقه أجمعين خاتم الأنبياء والمرسلين، محمّد المصطفى الأمين، وعلى آله الطاهرين وأصحابه المخلصين، والأولياء التابعين بإحسان، إلى يوم الدين.

وبعد، فبهذا الكتاب، "طوق النجاة"، تبدأ، بإذن الباري -تعالى- المرحلة الثانية من الدراسات الكلاميّة، التي شكّل كتابا "مدخل مناهجي إلى علم الكلام" و"مقدّمات في الكلام الوحدوي"، مرحلتها الأولى.

وهذه المرحلة الثانية التي وضعت تحت عنوان "قراءة جديدة في سفر التكوين الكلاميّ"، تشتمل على أربعة أجزاء مستقلّة، ومرتّبة بحسب التدرّج العلمي، من بحث الأصول والمقدّمات والعلل الأولى لتبلور الاختلافات العقائديّة في

الثقافة الإسلامية، إلى عرض الآثار الأولى لتفاعلاتها، وتحليلها طبقا للمنهج المختار الذي مرّ توضيحه في المرحلة السابقة والمستند، صرفا، إلى حكم البرهان ومحكمات القرآن.

وهذا الكتاب، مع كونه، مثل سابقيه، مستقلّا بموضوع مختص به، وقاصدا لأهداف محدّدة، ضمن مادّة ثقافيّة دراسيّة تشكّل ما يغطّي فصلا دراسيا متوسطا[١]، بحسب التقسيم الأكاديمي للدراسات الاستيعابيّة لبرنامج "إحياء الاجتهاد"، فهو لا يزيد عن كونه حلقة وصل علميّة تمهّد لبقيّة بحوث هذه المرحلة الثانية من الدراسات الكلاميّة، وهي التي تنتظم ضمن ثلاثة أجزاء أخرى مرتّبة بحسب التدرج المنطقي للمطالب.

* قراءة جديدة في سفر التكوين الكلامي

هذه المرحلة، بأجزائها الأربعة، وكما يفهم من عنوانها: تختص بالبحث في نشأة الكلام الإسلامي، قبل تبلوره وتشكّله المدرسي ضمن قالب علمي متميّز بتلك المواصفات الماهوية والارتباطية والشكليّة التي سبق توضيحها في " مدخل مناهجي إلى علم الكلام".

أمّا جهة البحث في هذه المرحلة، فهي ما سبق بيانه في "مقدّمات في الكلام الوحدوي"، وكذلك في بعض المنشورات الثقافية الأخرى[٢]، من انتهاج

---

[١] – يشتمل الفصل المتوسط على وحدتين دراسيتين، أي ساعتين في الأسبوع لمدّة ١٦ أسبوعا دراسيا.

[٢] –لاحظ مثلا: "الوحدة الإسلامية وتجديد علم الكلام" نشر كتاب المجدد، منتدى إحياء الاجتهاد. ربيع الأول ١٤٣٠ .

مسلك علمي لا طائفي، يهدف إلى إعادة تشكيل الصورة الحقيقية لما وقع وقيل فعلا وليس الصورة الافتراضيّة الوهميّة التي توجبها الالتزامات الطائفية المختلفة، وتغازل الإحساسات الغريزية القبليّة أو القوميّة أو العنصريّة المتنوّعة! وهي الصورة التي يراد طائفيّا أن تكون قد تحقّقت، حتّى تكون مشروعيّة الوجود الطائفي بمنأى عن الطعن، فإن لم تساعد الأدلّة القويّة، مثل الأخبار الصحيحة الموثوقة وواضحة الدلالة، على هذا التصوّر، يكون تقوية ما هو ضعيف من الأدلّة، كتصحيح أخبار وروايات الكذّابين والوضاعين، هو السبيل المتبقّي الوحيد للمحافظة على الحلم الطائفي الجميل المتمثّل في الانفراد بالمشروعيّة واحتكار جنّات الفردوس!

والحقيقة أنّ تدوين هذا الكتاب، بأجزائه الأربعة، قد انطلق من صياغة ثالثة منقّحة وموسّعة، لعمل سابق يحمل اسم: "قراءة في سفر التكوين الكلامي"، وهو الذي كان، في صياغتين سابقتين، مجرّد تركيب وتبويب لمجموعة من الدروس والمحاضرات حول الموجّهات الأولى للثقافة الإسلامية ونشأة البحوث العقائدية؛ وكنت قد ألقيتها، في دورات متعاقبة، في العقد المنصرم، على طلاب العلوم الدينيّة ببعض الحوزات العلميّة الشرعيّة والجامعات الإسلاميّة المتشرّفة بحرم وليّة الله السيّدة زينب الحوراء بنت إمام المتقين علي بن أبي طالب وابنة الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء بنت محمّد المصطفى، عليهم جميعا صلوات الله وسلامه.

وقد كانت الطبعة الأولى من تلك المحاضرات، صدرت ضمن نشرة دراسية تقتصر على حوزة المرتضى للدراسة الإسلامية في جوار السيدة زينب(ع) سنة٢٠٠٢، تحت عنوان "محاضرات في الثقافة الإسلامية".

أما الصياغة الثانية فقد كانت بطلب من فرع جامعة آزاد الإسلاميّة بنفس المكان من الشام، سنة ٢٠٠٥ فكانت مقررا دراسيّا لشعبة الفلسفة وعلم الكلام، ضمن برنامجها. وقد شهدت تلك الطبعة تنقيحات جذرية،بالنسبة لسابقتها، تنسجم مع البرنامج المقرر للمؤسسة الراعية للمشروع، واندرجت ضمنه تحت عنوان نشأة أهمّ الفرق الإسلاميّة. ولكنّ الاستفادة من ذلك العمل بقيت مقتصرة على طلاب تلك المؤسّسة ومدرّسيها؛ في حين تكاثرت علينا طلبات، من خارجها، لتقديم عمل آخر يستوعب تلك الأبحاث دون التورّط في القيود الكمّية والكيفيّة التي كبّلت الصياغتين السابقتين.

*** الصياغة الحاليّة وأهدافها**

إنّ ما يميّز هذه الصياغة عن سابقتيها، هو التوسّع النسبي في البحوث، وتحررها من القيود الشكليّة التي كان الوضع الدراسي الخاص السابق يفرضها عليها؛ علاوة على التجديد الشامل لتبويب البحوث بحيث ينسجم مع المستوى العالي المفترض في مخاطبي هذه الصياغة الجديدة، وتلبّي قدرا معقولا من احتياجاتهم العديدة التي تتنوّع بتنوّع آفاقهم العلميّة والثقافيّة.

فهذا الكتاب، إذا، وإن كان حصيلة تجربتين خاصّتين في تأليف المراجع الدراسية الحوزويّة والجامعية، وفي تدريس علم الكلام والفرق الإسلاميّة؛ لكنّا سعينا إلى تقديمه خاليا من أيّ آثار سلبيّة لقيود التجارب السابقة وظروفها.

فمن الواضح أنّه، في إطار مجموعة "دراسات كلامية"، قد اتخذت بحوثنا منذ الكتاب الأوّل اتجاها وحدويّا لا يداري أيّا من تلك القناعات العقديّة المتحكّمة وراثيّا في الوجدان والشعور الشعبي للكيانات الطائفيّة المختلفة التي شقّت صفّ الأمّة.

* المقدّمات الضروريّة

هذا الكتاب، بما هو بداية مرحلة ثانية من الدراسة الكلاميّة الاستدلالية التحليليّة والتركيبيّة، وهي التي تقع في عرض دراسات السطوح المتوسّطة (الرسائل والمكاسب)[1]، يفترض في قارئه أن يكون قد استكمل دراسة دورتين في علم المنطق، إحداهما تمهيديّة، والثانية متوسّطة؛ وكذلك دورة في السيرة النبويّة الشريفة، وتاريخ صدر الإسلام؛ علاوة على كتابي المرحلة الأولى من هذه المجموعة، وكذلك الجزء الأوّل، على الأقلّ، من كتاب "بحوث وحدوية في أصول الطائفيّة".

والمقدّمات التي تكتسب أهمّية خاصّة هنا، من بين مباحث المنطق، قسم الصناعات الخمس، الذي كثيرا ما يذهب ضحيّة لقصور البرامج التعليميّة المحكومة بالعجلة والسطحيّة، والمقيّدة بسرعة جريان الفصول والوحدات

---

[1] – ما يوازي السنة السادسة، حسب نظام البرنامج الدراسيّ الفصليّ المعتمد في الجامعات المقترحة كبديل عن الدراسة الحوزويّة الاستيعابيّة.

الدراسيّة المحدودة بعدد من الساعات التي لا يمكنها تغطية الحاجات الحقيقيّة للمطالب العلميّة.

لهذا، ومراعاة لواقع التزول العام والمنهج لمستوى الدراسات الشرعيّة في الكثير من المؤسسات التعليمية التي تُغطّي حاجات الساحة العلميّة الشرعية في أيامنا، فقد احتوى هذا الكتاب على تذكير بأهمّ ما لا يجوز الغفلة عنه من المعلومات حول الصناعات المنطقيّة؛ وهي المعلومات التي من المفروض أن تكون جزءا أساسا من المرتكزات الذهنيّة للطّالب.

وفي هذا الكتاب، بما هو بداية المرحلة الاستدلالية من البحث، ندخل خضمّ التحقيق التاريخي والسياسي والعقائدي الذي يتطلبه الهدف العلميّ لهذه الدراسات، مع البناء على المقدّمات والنتائج التي تحصّلت في الكتابين السابقين. وقد مرّ هنالك أن دراسة علم الكلام بغاية وحدوية يفرض علينا اجتناب جميع المسالك المعبدة، لكونها جميعاً مذهبية، بل طائفية أحياناً.

* متطلّبات الموضوعيّة والحياد العلْمي

من الواضح كون هذه المهمة تشتد تعقيداً كلما أمعن الباحث في طلب الحقيقة الخالصة النقية وعلت همته في محاولة استخلاصها واستصفائها من بين الكم الهائل من مدونات التراث الإسلامي. فعلاوة على الموضوعيّة المفترضة في البحث العلمي، لا بد أن يكون الحياد علميا إيجابيا؛ فلا يكتفي بإيصال التحليل إلى نتائجه، بل يجب توضيح تلك النتائج، وترتيب ما يجب ترتيبه عليها من آثار، وإن كلّفت الباحث غاليا!

والحقيقة أن ولوج ساحة البحث النقدي لعلم الكلام، يعرّض صاحبه، ابتداءً وقبل كلّ شيء، إلى امتحان دقيق في الموضوعية، وهو امتحان تفرضه اقتضاءات الهوية السياسية لعلم الكلام. ونظراً لأهمية هذا الامتحان وضرورة الخروج منه بأعلى درجات التوفيق في هذين المقصدين الجليلين، فقد كان من الضروري توخّي منهج في البحث يستقصي حظوظ التمكّن العلميّ والانضباط الأخلاقيّ: ورجاء كاتب السطور هو أن يكون قد وفّق في بلوغ المقدار المبرئ للذّمة، من هذا المقصد الشريف العالي، وبالله التوفيق.

* * * * *

* مختصّات الجزء الأوّل

هذا الجزء الأوّل، على اختصاره، يطمح إلى أن يكون الأساس المنطقي الذي تنبني عليه معظم التحليلات التي تأتي، لا فقط في الأجزاء اللاحقة من الكتاب، بل حتّى في المرحلتين الآتيتين من هذه المجموعة. فـ"طوق النجاة" هو المنطق القرآني الذي حمله خاتم الأنبياء(ص) إلى البشرية جمعاء ليكون طوق نجاة ينقذهم من الغرق في بحر مظلم من الجدل والوهم والمغالطة. وهذا الطوق، لم يزل، منذ ألقى به نبي الرحمة إلى المتخبّطين المصارعين للأمواج العاتية، والمتشبّثين بكل قشّة وحشيش، طائفا بشموخ فوق كلّ لجّة وموجة وزبد، وما أحوج البشريّة اليوم إليه؛ فمنطقه هو سبيل النجاة، والإعراض عنه يقود إلى مفترق طرق الهلكات!

فالموضوع المحوري الذي تدور حوله أهمّ أبحاث هذا الجزء، إذا، هو المشروع الإسلامي القرآني، بمضمونه المجتمعي، وبمشروعه المنطقي الخاص، وهو المنطق القرآني.

وتكمن أهمّية المنطق القرآنيّ في كونه روح الآلة الاستدلالية التي أتمّ الله – سبحانه– بها الحجّة على عباده.

ومن هنا كان إتقان دراسة الصناعات المنطقية الخمس، وهي: البرهان والخطابة والجدل والشعر التوَهُّمي والمغالطة، ضروريا لحسن التفاعل مع مطالب هذه المرحلة من البحث.

ولتيسير مهمّة مخاطبنا الفاضل المتناول لهذا الكتاب دون التمكن من الاطلاع على سابقَيه، رأينا من المناسب التذكير ببعض أهمّ النتائج المتحصلة من أبحاث الكتابين السابقين، وخاصّة منها ما يرتبط بهوية علم الكلام. فقدّمنا لأبواب هذا الكتاب بتمهيد، هو بمثابة عرض للمرتكزات التاريخية والإناسيّة التي يجب أن تصاحب هذه المرحلة من البحث، حتّى يمكن استقصاء الفائدة من مطالبها وإشاراتها.

هذا هو قصارى جهد الفقير إلى ربّه تعالى، وقد حكمت عليه ظروف وضغوط، قلّما تجتمع على رجل واحد، بأن يكون كثير التقصير في حقّ المؤمنين الذين لا سداد له إلّا بدعائهم.

فعسى أن يكون هذا العمل البسيط أداء، أو قضاء، مقبولا برحمة وفضل من الله تعالى، لبعض ما في الذمّة من حقّهم.

وأملنا أن يكون في التوسّع النسبي في بعض مطالب هذا الكتاب، تعويضا عن تأخّر نشره للعموم، سنوات عديدة، بسبب الحصار الظالم المضروب على

كاتبه الذي ما يزال يدفع، غاليا، ثمن استقلاله وثباته على المبادئ الوحدوية المقدّسة، ويواجه باستمرار شتى أنواع الدسائس والمكائد، مستجيرا بربّ العزّة ومستنصرا أولياءه الذين ما عاداهم أحد إلّا آذنه الله بالحرب.

ورجاؤنا أن تكون مباحث هذا الكتاب مستوفية لبعض ما تستوجبه عظمة المقصد؛ فما كان الإقدام على تجشّم هذا الصعب إلّا إيمانا منّا بأن الميسور لا يسقط بالمعسور.

وعسى أن يكون إخلاص النيّة في أداء التكليف المقدور، شفيعا لدى الحليم الغفور لجميع موارد القصور لدى عبده ومحبّ أوليائه، الفقير إليه تعالى، كاتب هذه السطور. والله وليّ التّوفيق؛ وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

شكيب بن بديرة الطبلبي

١ جمادى الثانية ١٤٣٠